# التربية الاجتماعية والصحية

## متى ينتفي الكذب

لشاكر الحبلي

تحريم السرقة

## الاستشارة الطبية المدرسية

للدكتور حسن كمال

# حتى يفتضح الكذب

لشاكر الحنبلي

قرأت في مجلة الهلال الغراء مقالاً للعلامة الاديب مصطفى الشهابي تحت عنوان « غرائب المصانعة » تناول فيها جانباً من النقص الاخلاقي في بعض الافراد الذين يلبسون لكل حالة لبوسها ويتلوّنون في آرائهم واحاديثهم تلوّن الحرباء على حسب ما يرضي مخاطبهم لاما يرضي ضميرهم ويعدون ذلك من مقتضيات الكياسة وحسن السياسة . وقد استثار هذا المقال اهتمام بعض المفكرين فكتب الاديبان اديب عباسي والياس يعقوب مقالين في هذا الصدد ما بهما هذا الخلق واعتباره ضعفاً في النفوس البشرية واعوجاجاً يجب تقويمه والتحذير من التعرض لآفاته التي تفقد المرء ذاتيته حتى يصبح بمثابة الحاكي الذي يردّد اقوال الغير وافكارهم بدلاً من ان يكون له في الحياة كيان مستقل

وقد نبهتني هذه المقالات الى ناحية اخرى من نواحي اخلاقنا الاجتماعية تكاد تكون عامة بين جميع الطبقات وهي الكذب في الحديث والرواية والعمل لا لشيء سوى التخلص من عتاب صديق او عناء زيارة متوجبة او دفع تبعة محتملة كاعتذارك عن تلبية دعوة بداعي المرض مع انك لم تكن مريضاً او قولك لخادمك عند زيارة احد تكره مقابلته : قل له اني لست في الدار مع انك فيها وتجاهل امر تعرفه او التغاضي عن شيء تكره افشاءه والتمارض السياسي الذي يتظاهر به بعض الساسة — كل ذلك من هذا القبيل، والمصانعة والمداهنة والرياء والتقية وان اختلفت اسماؤها فهي في الحقيقة لا تخرج عن حد الكذب ما دام الكذب هو الاخبار بشيء على خلاف ما هو عليه مع العلم به . فالمصانع والمداهن والمرائي جميعهم يقولون بخلاف ما يعتقدون وهو الكذب بعينه . والذين يستعملون التقية وهي اظهار خلاف ما يبطنهُ المتكلم دفعاً لضرر يظنونهُ لاحقاً بهم ان هم صارحوا بالحقيقة ليسوا سوى كذّابين ايضاً

فلماذا يرتكب الناس هذا النوع من الكذب ويمرُّون من مواجهة الصراحة ولا يرون في ذلك غضاضة عليهم ولا حرجاً ؟ اليس لهم مندوحة عن الكذب بالعدول عنهُ الى ما يؤدي الغرض منهُ ؟ وهل هنالك حالات يفتقر فيها الكذب وما هي ؟ هذه قضية جديرة بالبحث والتمحيص لمساسها بناحية دقيقة من نواحي اخلاقنا الاجتماعية : ان الكذب هو بلا ريب من اقبح الخلال واوضعها ولهذا نهت عنهُ جميع الشرائع والأديان ومقتتهُ العقول وكفى بالكذب شيناً ومهانةً ان صاحبهُ

مردول محتقر لا يصدقهُ الناس ولو صدق . ولا حاجة بنا الى سرد ما قيل في شناعة الكذب والكذابين فذلك مما يطول شرحه وليس هو غرضنا من هذا المقال وانما نريد ان نعرض للكذب من حيث غرض الكاذب وغايته لنرى اتبرر الغاية الشريفة هذه الواسطة الوضيعة في نظر العقل والشرع وان برّرتها فما هو مدى هذه الغاية ؟

ان الشرع قد اجاز لنا ارتكاب بعض المنهيات للضرورة فاجاز للمضطر اكل مال الغير لدفع الجوع متى خشي الهلاك عملاً بالقاعدة الفقهية «الضرورات تبيح المحظورات» كما اجاز ارتكاب اخف المفسدتين واختيار اهون الشرين متى تعارضا فاباح لمن أكره بالقتل التكلم بالكفر مع اطمئنان قلبه بالايمان ولكنه مع ترخيصه بهذه المنهيات قد قيدها بالقدر الذي تندفع به الضرورة فنصّ على ان «الضرورات تقدر بقدرها» فلا يجوز للجائع ان يأكل من مال الغير الاّ بالقدر الذي يحفظ حياته ويدفع عنه الهلاك ومتى امكن دفع الضرر بالاخافة والتهديد او الضرب العادي فلا يسار الى دفعه بالقتل لأن القدر الزائد عن الضرورة مساوٍ للاعتدال بل زائد عليه . فلا يسوغ لنا التجوز في الرخص وارتكاب ما نهى عنه الشرع في سبيل مصالحنا وشهواتنا تحت ستار الضرورة . وهكذا الكذب فهو وان كان حراماً إلاّ انه قد يباح في بعض الاحيان للضرورة متى كان في الجهر بالصدق خشية ضرر او فتنة اشد شرًّا من الكذب

***

يقول العلماء ان الكذب ليس حراماً لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره وربما كان واجباً في بعض الاحيان . ارأيت لو ان رجلاً سعى خلف آخر بالسيف ليقتله فدخل دارك فانتهى اليك الرجل يسألك هل رأيت فلاناً فاذا كنت قاتلاً ؟ الا تقول ما رأيته وهذا كذب ولكنهُ خير من الصدق بل واجب عليك لان فيه حقن دم

ذكر الامام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين « ان الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن الوصول اليه بالصدق والكذب معاً فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل اليهِ بالكذب دون الصدق فالكذب فيهِ مباح ان كان تحصيل ذلك المقصد مباحاً وواجب ان كان المقصود واجباً كما ان عصمة الدم واجبة . فمتى كان في الصدق سفك دم امرىء قد اختفى من ظالم فالكذب فيهِ واجب ومتى كان لا يتم مقصود الحرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليهِ الا بكذب فالكذب مباح . الاّ انهُ ينبغي ان يحترز منهُ ما امكن لان الانسان اذا فتح باب الكذب على نفسهِ فيخشى ان يتداعى الى ما يستغني عنهُ والى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراماً الاّ لضرورة . روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله (ص) يرخص في شيء من الكذب الاّ في ثلاث الرجل يقول القول يريد بهِ الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأتهُ

والمرأة تحدث زوجها . وقالت ايضاً قال رسول الله (ص) ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيراً أو انمى خيراً . وروي عن ابي كاهل قال وقع بين اثنين من اصحاب النبي كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت مالك ولفلان فقد سمعتهُ يحسن حليك الثناء ثم لقيت الآخر فقلت لهُ مثل ذلك حتى استطلعا ثم قلت اهلكت نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت النبي (ص) فقال يا أبا كاهل اصلح بين الناس ولو . . اي بالكذب

«فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به غرض مقصود صحيح للقائل او لغيره اما ما كان لهُ قتل ان يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله ان ينكره او يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة كانت بينهُ وبين الله تعالى فله ان ينكر ذلك فيقول ما زنيت وما سرقت وقال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك ان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى فللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلماً وعرضهُ بلسانهِ وان كان كاذباً واما الكذب لغرض غيره فبأن يسأل عن سر اخيهِ فلهُ ان ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائهِ بأن يظهر لكل واحدة انها احب اليهِ او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبهُ الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس ولكن الحد فيهِ ان يتقابل بين الكذب والصدق فيميزان القسط فاذا ظهر له ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعاً في الشرع من الكذب فله ان يكذب وان كان ذلك المقصود أهون من مقصود الشرع فيجب الصدق. وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب يباح لضرورة او حاجة مهمة فان شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليهِ . . ولكن بالنظر لنفس ادراك مراتب المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب ما أمكنهُ وكذلك متى كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز له المسامحة لحق الغير والاضرار بهِ . واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادة المال والجاه والامور ليس فواتها محذوراً . . . »

فيظهر مما ذكره حجة الاسلام الغزالي ان الكذب قد رخص بهِ للضرورة في بعض المواطن دفعاً لضرر لا يمكن اجتنابهُ الا بالكذب فيباح حينئذٍ ولكن هذه الرخصة يجب ان لا تتعدى حدود الضرورة . وكان السلف يعدلون عن الكذب الى المعاريض ويرون فيها مندوحة عن الكذب عند ما يضطرون اليه ومثال التعريض انهُ اذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت ان تكذب تقول ان الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قولك ( ما ) حرف نفي عند المستمع وعندك للابهام . وكان معاذ بن جبل عاملاً لعمر رضي الله عنهُ فلما رجع قالت له امرأتهُ ما جئت بهِ مما يأتي به العمال الى اهلهم وما كان قد اتاها بشيء فقال كان عندي ضاغطاً قالت كنت ايباً عند رسول الله وعند ابي بكر فبعث عمر معك ضاغطاً وقمت بذلك بين النساء واشتكت عمر فلما بلغه دعا معاذاً وقال له ابعثت معك ضاغطاً قال ما اجد ما اعتذر بهِ اليها إلا ذلك فضحك عمر واعطاه شيئاً فقال له ارضها به .

ومعنى قوله مائطاً يعني رقيباً وأراديه الله تعالى . وكان الشعبي اذا طلبه من يكره أن يخرج اليه وهو في الدار قال للجارية قولي له اطلبهُ في المسجد ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كذباً . وكان الشعبي اذا طلب وهو في المنزل وهو يكره الخروج خط دائرة وقال للجارية ضعي اصبعك فيها وقولي ليس ههنا

وهذا كله في موضع الحاجة . وقالوا في توجيه هذا النوع من المعاريض ان المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه الاَّ ان ذلك مما تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر من الظلمة وفي قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على أسرار الملك فمن اضطرَّ الى شيء من ذلك فهو صادق وان كان كلامه معها غير ما هو عليه لان الصدق ما أريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه ففي مثل هذه المواضع ينبغي ان يعدل الى المعاريض ما وجد اليه سبيلاً . وكان رسول الله (ص) اذا توجه الى سفر ورَّى بغيره كي لا ينتهي خبره الى الاعداء وليس هذا من الكذب في شيء

وقد أباحوه أيضاً في المزاح لما فيه من المطايبة على ان لا يتجاوز حد الاعتدال . وكان النبي (ص) يمازح بعض الصحابة والصحابيات ولكنهُ لا يقول الاَّ حقاً . روي عن الحسن أنهُ قال : أتت عجوز الى النبي (ص) فقالت يا رسول الله ادعُ لي بالمغفرة فقال لها : لا يدخل الجنة عجوز فبكت فتبسم وقال لها انك لست بعجوز يومئذٍ أما قرأت قوله تعالى « انَّا أنشأناهنَّ انشاءً فجعلناهنَّ أبكاراً عرباً أتراباً » . فانظر الى هذا المزاح اللطيف الذي لا يخرج عن قول الحق ومثل النبي قادر أن يمزح ولا يقول الاَّ حقاً . فأين هذا من مزاح بعض الناس الذين لا همَّ لهم الاَّ ان يضحكوا الناس من قولهم كيفما كان

ويغتفر الكذب في الشعر أيضاً عن طريق المبالغة حتى قالوا « أعذب الشعر أكذبه » . وقد أمر رسول الله (ص) حسان بن ثابت الانصاري بهجاء الكفار والتوسع في المدح فانهُ وان كان كذباً فلا يلتحق بالكذب الحرام كقول ابي تمام في وصف الخليفة المعتصم :

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بمنتهى الجود والسخاء فان لم يكن صاحبه سخيًّا كان كذباً وان كان سخيًّا فالمبالغة من صنعة الشعر . وقد أنشدت ابيات بين يدي رسول الله لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منهُ . قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله (ص) يخصف نعله وكنت جالسة اغزل فنظرت اليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقهُ يتولد نوراً قالت فبهت فنظر اليَّ فقال مالك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نوراً ولو رآك ابو بكر الهذلي لعلم انك احق بشعره قال وما يقول قلت يقول :

واذا نظرت الى اسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

قالت فوضع ما كان بيده وقام اليّ وقبل ما بين عينيّ وقال جزاك الله خيراً يا عائشة ما سررت مني كسروري منك . ولما قسم النبي ( ص ) الغنائم يوم حنين اعطى العباس بن مرداس جاريع فلاقص فاندفع يشكو في شعر وفي آخره :

وما كان بدر ولا حابس يسودان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر الصديق حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس فقال له النبي اتقول في الشعر ؟ فجعل يعتذر اليه ويقول بأبي انت وأمي اني لأجد للشعر دبيباً على لساني كدبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النحل فلا اجد بدًّا من قول الشعر فتبسم النبي وقال « لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين » ومثل هذا كثير في اشعار العرب وغيرهم . فالمبالغة في الوصف تغتفر على شرط ان يكون في الموصوف بعض هذه الصفات

ومثل اطراء الممدوح في حفلات التكريم والتأبين . فانك تلاحظ في اقوال الخطباء اطراء يخرج عن حدود الحقيقة ولكن الناس يغتفرون ذلك ويرونهُ ضروريًّا لتطييب قلب المحتفل به او مواساة لاهل الفقيد بل يعدونهُ من المجاملات الاجتماعية التي لا بدَّ منها . وكذلك تجاهل العارف هو في حقيقته كذب ولكنهُ من الصناعات الادبية في الادب العربي

***

ومن الكذب الممدوح ما يقصد به الايثار على النفس وهو نادر ويعد من مكارم الاخلاق كما فعل ذلك الانصاري الذي جاء الى النبي فوجد عنده ضيفاً ولم يكن عند النبي ما يقدمهُ الى ضيفه فذهب الانصاري بالضيف الى اهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كأنهُ يأكل ولا يأكل حتى اكل الضيف الطعام . فلما اصبح قال له رسول الله لقد عجب الله من صنيعك الليلة الى ضيفكم ونزلت آية « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » فيا حبذا الكذب من هذا النوع

هذا وان الناس قد فتحوا باب الكذب على مصراعيه وتجوزوا فيه في غير محال الضرورة حتى كاد يكون خلقاً من اخلاقنا الاجتماعية فاذا اردت ابتياع سلعة او استصناع حذاء مثلاً قال لك التاجر او الصانع ان رأس مالها كذا قرشاً وواحا يمزازان قولها بأغلظ الايمان وهما كاذبان في قولها وعينها وهكذا تغلغلت خصلة الجبن في نفوسنا حتى صارت عادة مستحكمة تصدر عنا عفواً وبلا تأمل كأنها من الغرائز الطبيعية . ولو حللنا عوامل هذه النقيصة الاخلاقية تحليلاً نفسيًّا لم نجد لها سبباً سوى الجبن او الانانية فالكذاب يقصد بكذبهِ سواء أكان صريحاً او عن طريق المصانعة او

المداهنة او الرياء او التقية الى اتقاء شر يخافه او جلب خير يرجوه وكلاهما يتلخصان بالخرف والانانية . نعم ان الحياة الاجتماعية قد تلجىء المرء في بعض الاحيان الى الكذب والمصانعة كما قال زهير بن ابي سلمى

ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرَّس بأنياب ويوطأ بمنسم

إلاَّ ان ذلك يجب ان يقصر على مواطن الحاجة والضرورة وعلى الاحوال التي لا مندوحة فيها عن الكذب فلا يسوغ لنا ان نسرف فيه اسرافاً يخرجهُ عن هذا القدر ويصرفهُ عن مقصد الشارع في الترخيص بهِ . فالكذب والمصانعة وما جرى مجراهما من ضروب المين بمثابة السم الذي يستعملهُ الطبيب لمعالجة بعض الامراض فان أعطى المريض منهُ مقداراً زائداً عن الحد المقدَّر لهُ طبًّا أودى بحياة المريض

وهكذا الكذب يخشى اذا نحن أسرفنا في التجوز بهِ ان يوردنا موارد العطب والهلكة لا سيما وان تقدير مواطن الضرورة فيهِ من أدق الامور وأصعبها بل هو من مزالق الاقدام ولذلك كان السلف يحتاطون في الترخيص بهِ ويقولون لا يجوز للرجل ان يكذب لصلاح نفسه فما عجز الصدق عن اصلاحه كان الكذب أولى بفساده »

فيجب على قادة الرأي فينا من علماء وأدباء وكتَّاب ان يعالجوا هذا المرض الاخلاقي معالجة دقيقة ويصفوا لهُ الدواء الشافي او الواقي . ولعلَّ خير ما يصنعون ان يكثروا من المحاضرات والمقالات في هذا الصدد فعسى ان يكون من وراء ذلك ما يحقق الغرض من تقويم اعوجاج نفوسنا وتطهيرها مما علق بها من أدران وأوضار فنحن أحوج ما يكون الى تجدد أخلاقي يبنى عليه صرح نهضتنا القومية التي نسعى اليها . وكل رقيٍّ لا يشاد على أساس الفضائل الاخلاقية فمصيره السقوط والانهيار . ورحم الله القائل :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

---

# تحريم السرقة

سئل الدكتور صروف ، رحمهُ الله عليهِ ، ما هي الادلة القاطعة على تحريم السرقة فقال :

التحريم أمرٌ دينيٌّ . والاديان تنهى عن السرقة . ولا دليل فوق ذلك . ولكن اذا اردتم الدليل على ضرر السرقة فالسارق قلَّما يُضَرُّ . والذي تسرق اموالهُ يُضَرُّ غالباً بحرمانهِ مما هو لازم لمعيشتهِ وراحتهِ . ولكن الضرر الاكبر يقع على الجماعة التي تحيز السرقة لانها تفقد حق التملك الذي هو اساس العمران وتعود الى البداوة والفوضى

# الاستشارة الطبية الدورية

## أهميتها — فوائدها

للدكتور حسن كمال

---

١ — يعلم القراء أن الصحة هي اهم ما يدخره الانسان . وقد شبهها بعضهم بتاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى . ولا غرابة في ذلك فالجسم المعافى الخالي من الامراض الكامل النمو هو الاطول عمراً والاقدر على تحمل المشقات والاكفأ على ادارة الامور بحزم وجد ونشاط مع شعور بالراحة والطمأنينة والانشراح . والمثل يقول العقل السليم في الجسم السليم

٢ — وفي هذا الصدد يبدو لنا لاول وهلة سؤالان « كيف الوصول الى هذه الصحة ؟ وكيف نحافظ عليها اذا ما اهتدينا اليها ؟ الجواب عنهما يتلخص في ما يلي : —

اولاً : وقاية الجسم من العلل والسقام قبل ان تصل اليه

ثانياً : المبادرة بعلاج كل حالة مرضية تظهر في الجسم لأن الاختبار علمنا أن استئصال المرض في مبدئه سهل اذا قيس باستئصاله بعد تمكنه وتثبته وتجذره . سهل لانه لا يتطلب حينذاك عناء كبيراً . فقدار يسير من الدواء او اصلاح يسير في المسكن والملبس او تعديل خفيف في الغذاء يكفي لشفاء معظم الامراض المبتدئة فتقصر مدة المرض ويتفرغ الشخص لمهامه المعتادة وتعدم ابواب مصروفات المصلحة ويزول الهم والغم ويبقى الفرح والسرور

٣ — فاذا كان الامر كذلك — فما هي الطريقة التي تجمع بين وقاية الجسم من المرض حتى لا يصل اليه والشفاء منه بسرعة اذا ما تسرب اليه ؟ — الطريقة الوحيدة الناجعة هي الاستشارة الطبية الدورية . وربّ سائل يسأل : وما معنى الاستشارة الطبية الدورية التي تدعو اليها وتريد ان يتبعها الجمهور؟ الجواب عن ذلك ان المقصود بالاستشارة الطبية الدورية هو التردد على طبيبك الخاص وانت في حالة الصحة كي يفحصك . فاذا ما لاحظ عندك مرضاً مبتدئاً لا تعلمه أشار عليك بالدواء . أو لاحظ انك معرّض لبعض العلل من جهة ملبسك او مشربك او مأكلك او مسكنك أو مهنتك أشار عليك بالعمل اللازم حتى لا تقع فريسة لامراض الملابس الغير صحية او الطعام الذي لا يوافقك

او المسكن الذي لا يتفق مع حالة جسمك او الشغل الذي قد يؤثر في اعصابك او نظرك او صحتك والمعروف ان درهم وقاية خير من قنطار علاج

وعليه فالاستشارة الطبية تعني اخذ رأي الطبيب . أما كلمة دورية فتعني الاستمرار في ذلك في مواعيد مناسبة او بعبارة اخرى في ادوار موافقة لحالة الجسم والسن

٤ — وأهم فوائد الاستشارة الطبية الدورية هي معرفة المرض في مبدئه . ومعلوم ان الامراض نوعان حاد ومزمن . فالحاد هو الذي يبدأ فجأة وبشدة ويكون عادة قصير المدة . أما المزمن فهو الذي يتخلف عادة من الحاد وهو طويل المدة قليل الشدة . هذان النوعان اذا شخصا في مبدئهما تمكن الطبيب من مكافحتهما ووصف الدواء لهما فتقصر مدتهما وتقل مضاعفاتهما ويخف تأثيرهما السيء في الجسم وعليه فمعرفة المرض عند ظهوره هو اهم عامل لضمان صحة الفرد والمجتمع

٥ — وقد اهتمت الدول الغربية بالاستشارة الطبية . ثم توسعت فيها فاباح بعضها التعقيم الجراحي فمن ينتظر ان يتركوا ذرية مريضة تكون عالة على المجتمع عديمة الفائدة للوطن فسبقوا في احتياطهم هذا ظهور الامراض في النسل

٦ — والاستشارة الطبية الدورية من أهم العوامل التي تُنَمّي معلومات الاطباء فهي لذلك مفيدة لهم افادتها للافراد . لانها تتطلب مهارة فنية ودقة كبيرة في معرفة الامراض المبتدئة . لذلك نجد أن كثيراً من الامراض يرجع الفضل في استئصاله او تخفيفه الى الاستشارة الطبية الدورية . ومن هذه الامراض السل والسرطان وهما مرضان خبيثان أصبحا الآن بفضل معرفتهما في مبدئهما أقل خطورة وأقرب الى الشفاء عن ذي قبل

٧ — متى يُبدأ بالاستشارة الطبية الدورية ومتى يُنتهى منها ؟ — الجواب ان هذه الاستشارة يُبدأ بها منذ الوضع ويُستمر فيها حتى الوفاة

٨ — ومن هو اجدر الناس بالقيام بهذا العمل ؟ — هو طبيب العائلة — لعدة اسباب منها ( ا ) إن اشراف الطبيب على افراد العائلة في اوقات الصحة يزيد كثيراً من عنايته بها أثناء المرض ( ب ) ان طبيب العائلة ادرى بأحوالها الصحية والمالية والمعاشية فهو لذلك اكفأ الاطباء في ادارة شؤونها الصحية بأسلوب ظريف كيس

٩ — وفي بعض البلدان كالولايات المتحدة قسائم مطبوعة للاستشارة الطبية الدورية يملأ خاناتها الطبيب الكشاف ويذكر بها الملاحظات والاعراض المهمة وقت الكشف ويحتفظ لنفسه بنسخة منها ويُعطي الطالب نسخة اخرى ينتفع بها وقت الحاجة

١٠ — وتتلخص الاستشارة الطبية الدورية في وزن الشخص ( ولهذا مكانته عند الاطفال ) وقياس الارتفاع ودرجة الحرارة والضغط الدموي وتحليل البول وفحص الهيكل العظمي والغدد الليمفاوية ووظائف الاعضاء وارتخاء العضلات وسلامة الجلد وحركات المفاصل . ومظاهر الجسم الخارجية . ولا يخفى ان الشكل الخارجي كثيراً ما يشير الى امراض كامنة ثم بفحص الرئتان والقلب والنبض . وتلاحظ العادات الضارة كالتدخين وتناول المشروبات الروحية . كذلك الامراض العائلية الوراثية . ثم تلاحظ درجة تعرض الشخص لامراض حرفته . ويفحص الفم للتأكد من سلامة الاسنان وحالة اللوزتين وكذا الانف والعينان

١١ — هكذا تمر الاستشارة الطبية كل جهاتنا المعاشية . وسأمشي مع حضراتكم على سبيل المثال . وافرض ان اسرة من الاسر اتفقت مع طبيبها الخاص ان يقوم بفحص افرادها الصغار كل ستة اشهر والكبار كل سنة بالمنزل تارة وبالعيادة تارة أخرى . مثل هذا الترتيب يزيل كثيراً من الكلفة بين الطبيب وافراد الاسرة مما يوسع نطاق اطلاعه على احوالها ويجعل لنصائحه منزلة محترمة عندها بصفة خاصة . ويمكنه ايضاً من الاشتراك معها في شعورها فيفرح لفرحها ويأسف لأسفها . إذن ماذا ينتظر من استشارة مثل هذا الطبيب دورياً — هذا هو السؤال الذي سأفسره لحضراتكم

١٢ — اول ما يتطرق الى ذهن الطبيب ان يلاحظ مسكن العائلة وان ينصحها باتخاذ مسكن كثير النوافذ تدخله الشمس له دورة مياه نظيفة

١٣ — بعد ذلك تأتي مسألة الخدم . فيفحصهم قبل التحاقهم بالعائلة كي يتأكد من عدم اصابتهم بامراض معدية او عاهات تمنعهم من أداء اعمالهم المطلوبة منهم

١٤ — ثم تأتي مسألة الاطفال . وهؤلاء يوزنون باستمرار لمراقبة نموهم . وطريقة تغذيتهم وتلاحظ ملابسهم ومحال نومهم . واعلموا حضراتكم ان كثيراً من امراض الاطفال يدركها الطبيب قبل ان تظهر للوالدين . من ذلك مرض لين العظام فان له اعراضاً مبدئية في الاضلاع ونهاية العظام يمكن الطبيب من معرفة الداء في بدايته فيصف لذلك الدواء والغذاء اللازم وتعالج الحالة قبل وضوحها . كذلك مرض احدى غدد العنق الذي تصحبه السمنة وخشونة الجلد وقلة النمو وظهور اعراض الكسل والخمول وبلادة التذكر يمكن تداركها في اولها بسهولة وهناك المرضعة التي يجب التأكد من خلوها من الامراض المعدية ومن جودة لبنها . هكذا تفيد الاستشارة الطبية الاطفال

١٥ — بعد ذلك تأتي مسألة تحصين العائلة ضد الامراض . كالتطعيم ضد الجدري والمصل ضد الدفتريا وخلافها كالحمى التيفودية . والطبيب هو الذي يرشد العائلة الى ذلك ويتولى تنفيذه . وهناك امراض كالحصبة يمكن حصرها في الطفل الشاب دون سواه عند ظهورها بحقن الآخرين بمصل يمنع اصابتهم او يخفف على الاقل . اليست كل هذه فوائد لا يستهان بها ؟

١٦ — والالعاب الرياضية ، التي اصبحت الزامية بمدارس بعض البلاد الغربية لما تحدثه من كمال النمو وزيادة مقاومة الجسم والنشاط وتعود النظام في الجلوس والوقوف والمشي واداء الاعمال اليومية . هذه الالعاب هي اتم ما يصفها الطبيب وهي على انواع بعضها يؤدى بالمدارس والبعض الآخر في الاندية الرياضية والمنازل

١٧ — وقد دلتنا التجربة والابحاث العديدة ان لطول الجسم ووزنه وشكل صدره علاقة ببعض الامراض وان الطبيب الكشاف يمكنه ان يصف العلاج والغذاء الذي يزيد في مقاومة الجسم ضد هذه الامراض . فالبدانة وقصر القامة وغلظ العنق كثيراً ما يصحبها زيادة الضغط الدموي . والطبيب الكشاف يراقب ذلك ويتبعه . كذلك الاصابة بالدرن لها علاقة كبيرة بشكل الصدر والطبيب الكشاف يقي مثل هذا الشخص من النزلات الصدرية وخلافه مما يمهد هذا المرض

١٨ — وهناك مسألة العينين التي يجب العناية بها لكثرة الرمد الحبيبي هنا وانتشار قصر البصر الطبيعي . كذلك الاسنان فان تلفها بسبب تقرحات اللسان والتهاب اللثة يحدث التهاب المفاصل المزمن وغيره . فالطبيب يرشد الشخص الى مثل هذه الامور في اولها

١٩ — ثم مرض الكلى والبول السكري كثيراً ما نشاهد اعراضها بالبول دون ان يشعر صاحبها بالمرض حتى يستفحل امره ويشتد ضرره . وعليه فمجرد تحليل البول باستمرار كثيراً ما يقي الشخص من ويلات هذين المرضين

٢٠ — هكذا تصبح الاستشارة الطبية الدورية درساً نافعاً لافراد العائلة منذ نعومة اظفارهم يفهمهم النافع من الضار ويعلمهم مبادىء علم الصحة ووظائف الاعضاء والحالات النفسانية المتنوعة او بعبارة اوجز يعلمهم قيمة الصحة . قال تعالى ( وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ) صدق الله العظيم

***

لوحظ في هذا المقال (١) الاختصار (٢) بساطة التعبير (٣) اجتناب المصطلحات الطبية